@Antelias. Diocese
anteliasdiocese.com

عنوان الأحد الأحد السابع من زمن القيامة

الأخت راغدة عبيد (ر.ل.م.)

(سفر الأحبار: ١٩ / ١ - ٢ + ١١ - ١٨)

١ وكَلَّمَ الرَّبُّ موسى قائلًا:
٢ "مُرْ كُلَّ جَماعةِ بَني إِسْرائيلَ وقُلْ لَهم: كونوا قِدِّيسين، لأَنِّي أَنا الرَّبَّ إِلهَكم قُدُّوس.
١١ لا تَسرِقوا ولا تَكذِبوا ولا يَخدَعْ أَحَدٌ قريبَه.
١٢ ولا تَحلِفوا بِٱسْمي كَذِبًا، فتُدَنِّسَ ٱسمَ إِلهِكَ: أَنا الرَّبّ.
١٣ لا تَظلِمْ قريبَكَ ولا تَسلِبْه، ولا تُبِتْ أُجرَةَ الأَجيرِ عِندَكَ إِلى الغَد.
١٤ لا تَلعَنِ الأَصَمّ، وأَمامَ الأَعْمى لا تَضَعْ مَعثَرَةً، واتَّقِ إِلهَكَ: أَنا الرَّبّ.
١٥ لا تَجوروا في الحُكْم، ولا تُحابِ وَجهَ الفقيرِ ولا تُكرِمْ وَجهَ العَظيم، بَل بِالعَدْلِ تَحكُمُ لِقَريبِكَ.
١٦ ولا تَسعَ بِالنَّميمةِ بَينَ شَعبِكَ، ولا تُطالِبْ بِدَمِ قريبِكَ: أَنا الرَّبّ.
١٧ لا تُبغِضْ أَخاكَ في قَلبِكَ، بل عاتِبْ قريبَكَ عِتابًا، فلا تَحمِلَ خَطيئَةً بِسَبَبِه.
١٨ لا تَنْتَقِمْ ولا تَحقِدْ على أَبْناءِ شَعبِكَ، وأَحِبَّ قريبَكَ حُبَّكَ لِنَفسِكَ: أَنا الرَّب".

مقدّمة

في الأُسبوعِ الأَخيرِ من زَمَنِ القيامة، تَختارُ لَنا الكَنيسَةُ أَهمَّ نُصوصِ الكِتابِ المُقدَّس، وَهيَ الَّتي تُذَكِّرُنا بِأَنَّنا أَبناءَ اللّه. فَفي نَصِّ العَهدِ القَديمِ، تُذكِّرُنا بِأَنَّنا مَدعُوّينَ إِلى القَداسَةِ، على مِثالِ إِلَهِنا القُدّوس (أح ١٩ / ١ - ١٨). وَفي الرِسالَةِ إِلى أَهلِ أَفَسُس، يُذكِّرُنا الرَّسولُ بولُس بِالفَضائِلِ الإِلهيَّةِ الثَّلاث الإِيمانِ وَالرَّجاءِ وَالمَحبَّة وَهم أَثمَنُ عَطيَّةٍ لَنا مِنَ الرَّبِّ لِخَلاصِنا. وَفي نَصِّ إِنجيلِ يوحنَّا، يُعطينا الرَّبُّ يسوعُ وَصيَّةً جديدَةً هيَ مَحبَّةُ بَعضِنا البَعض وَفيها يَعرِفُ العالَمُ أَنَّنا تَلاميذُهُ. لِنَرى كَيفَ حَضَّرَ سِفرُ الأَحبارِ ذِهنيَّةَ الشَّعبِ القَديمِ لِسِرِّ مَحبَّةِ الرَّبِّ لِلجَميع.

إِنَّ سِفرَ الأَحْبارِ هوَ الأَقَلُّ شُهرةً بينَ أَسفارِ العَهدِ القَديم. وَالأَحبارُ هُمُ الكَهنةُ اللاَّويُّونَ الَّذينَ أَوكَلَهُمُ الرَّبُّ بِخِدمَةِ أَماكِنِ العِبادَةِ وَخاصَّةً الهَيكَلِ وَخَيمَةِ المَوعِد. فَهُم المُختارونَ لِيكونُوا وُسَطاءَ بينَ الشَّعبِ وَالرَّب، وَلِيُقَدِّسوا الشَّعبَ من خِلالِ تَقديمِ ذَبائِحَ سلامِيَّةٍ تَكفيرًا عن خَطاياهُ. فَيصيرَ الشَّعبُ حاضِرًا لِبناءِ علاقةٍ معَ القُدُّوسِ لِنَيلِ الخَلاص.

يَحْتَوي هَذا السِّفرُ عَلى مَجموعةِ الشَّرائِعِ لِمُمارَسَةِ الطُّقوسِ الدِّينيَّة، وَهَدَفُها هوَ الاتِّحادُ بِاللّهِ القُدُّوس، بِعَيشِ حَياةٍ قداسَةٍ. هَذهِ الشَّرائِعُ وَالتَّفاصيلُ الدَّقيقَةُ لِلمُمارَساتِ

الدِّينيَّةِ، وَهي ما نُسَمِّيها في أَيَّامِنا "اللّيتورجيا"، تُساعِدُ الشَّعبَ المُؤمِنَ عَلى تَجَنُّبِ كُلِّ ما يَعوقُ اتِّصالَهُ بِالرَّبِّ، وَتَدُلُّهُ على شَريعَةِ القَداسَةِ، "لِيَكونَ قِدِّيسًا كَما أَنَّ الرَّبَّ قُدُّوسٌ". في الإِنجيلِ، يُظْهِرُ لَنا الرَّبُّ يَسوعُ، أَنَّ اللّه الآبَ القُدّوس هوَ محبَّةٌ وَلِذا، أَعطانا وَصِيَّةً جَديدَةً هي "أَن نُحِبَّ بَعضُنا بَعضًا" لِنَكونَ أَبناءَهُ وَتَلاميذَهُ. وَشَريعَةُ المَحبَّةِ تَتخطَّى الأَحكامَ وَالقَوانينَ حُبًّا بِالآخَرِ المُخْتَلِفِ الَّذي جَعلَهُ الرَّبُّ مَوضوعَ محبَّتِهِ، لِتَكونَ شُعوبُ الأَرضِ كُلِّها، شَعبَ الرَّبِّ.

١ وكَلَّمَ الرَّبُّ موسى قائلًا:
٢ "مُرْ كُلَّ جَماعةِ بَني إِسْرائيلَ وقُلْ لَهم: كونوا قِدِّيسين، لأَنِّي أَنا الرَّبَّ إِلهَكم قُدُّوس.

يَتوَجَّهُ الرَّبُّ إِلى نَبِيِّهِ موسَى وَهُما مُجْتَمِعانِ في داخِلِ "خَيمَةِ المَوعِدِ" (أح ١ / ١). نَرَى أَنَّ الحَديثَ بينَ الرَّبِّ وَموسَى انتَقَلَ من جَبلِ سيناءَ (سِفر الخُروج)، إِلى "خَيمةِ المَوعِدِ" إِلى مَكانٍ مُغلَقٍ يُغَطِّيهِ الرَّبُّ بِالغَمامِ كَعلامَةٍ لِحُضُورِهِ (راجع خر ٤٠).
هَذا النَّصُّ يَحْوي وَصايا الرَّبِّ لِشَعبِ إِسرائيلَ وُضِعَت تَحتَ عُنوان "شَريعَةُ القَداسَة"، أَيْ مَجموعَةُ الشَّرائِعِ الّتي تُجَنِّبُ الشَّعبَ كُلَّ المُمارَساتِ الّتي تُبعِدُهُ عَنِ الرَّبِّ القُدّوس.
يُوَجِّهُ الرَّبُّ وَصِيَّتَهُ الأُولَى في القَداسَةِ، بِصيغَةِ الأَمْرِ "مُرْ". هَذا، لأَنَّ بَني إِسرائيلَ هُم خَاصَّةُ الرَّبِّ وَيَحْمِلونَ اسْمَهُ وَهُم شُهودٌ عَلى أَنَّهُ هوَ الإِلهُ الحَقُّ وَلا إِلَهَ غَيْرَهُ. "كُونوا قِدّيسينَ" (أح ١١ / ٤٤ - ٤٥؛ ٢٠ / ٢٦؛ ٢١ / ٨) هيَ دَعوَةٌ لِلشَّعبِ لِكَي يَطلُبَ وَيَسْعَى لِكُلِّ ما يُقَرِّبُهُ منَ اللّهِ القُدّوس، وَيَنبُذَ كُلَّ ما يُبْعِدُهُ عَنهُ. فَالدَّعوَةُ إِلى القَداسَةِ هيَ دَعوَةٌ لِلاتِّحادِ بِالرَّبِّ، في الأَعمالِ وَالأَفكارِ، في العَقلِ وَالقَلب. إِذًا، الشَّرائِعُ التَّاليَة تَهْدِفُ إِلى تَقديسِ شَعبِ اللّه كَما اللّهُ هوَ قُدُّوس.

١١ لا تَسرِقوا ولا تَكذِبوا ولا يَخدَعْ أَحَدٌ قريبَه.
١٢ ولا تَحْلِفوا بِٱسْمي كَذِبًا، فتُدَنِّسَ ٱسمَ إِلهِكَ: أَنا الرَّبّ.

وَالآنَ، يَعْرِضُ الكَاتِبُ بَعْضَ الشَّرائِعِ الّتي على الشَّعبِ أَن يَتجَنَّبَها لِكَي يُحافِظَ على عَلاقَتِهِ بِالرَّبِّ. نُلاحِظُ أَنَّ هذِهِ المجموعَةُ منَ الأَحكامِ تُشْبِهُ بِوضوحٍ مَجموعَةَ الوَصايا العَشْر، بِاسْتِعمالِ صيغَةِ المَنْعِ أَو الرَّفضِ التَّام وَالنِّهائِيّ "لا" الجَذريَّة، كَما عَلَّمَنا الرَّبُّ يسوعُ بِقَولِهِ : "لِيَكُنْ كَلامُكُم نعَم نعَم وَلا لا" (متى ٥ / ٣٧) وَتُشْبِهُ الوَصايا أَيضًا بِالمَضمون. كَما نُلاحِظُ التَّرتيبَ لِهَذهِ الشَّرائِع، بِتَحديدِ أَقسامِها المُتَساوِيَةِ ٢ - ٢... بِواسِطَةِ اللاَّزِمة النِّهائِيَّة: "أَنا الرَّبّ".
فَمجموعَةُ الوَصايا هذِهِ مُؤَلَّفةٌ على سُلَّمِ الوَصايا العَشر:
فَالآيَةُ (آ ١١) "لا تَسْرِقوا" تُعادِلُ (خر ٢٠ / ١٥) وَ"لا يَخدَعْ أَحدٌ قريبَهُ" تُعادِلُ "إِنْ وُجِدَ إِنسانٌ

قد خَطِفَ نَفسًا مِنْ إِخوَتِهِ مِن بَني إِسرائيل، فَعامَلَها كَالعَبدِ أَو بَاعَها. ..." (تث ٢٤ / ٧، راجع أَيضًا تث ١٩ / ١٦ - ٢١؛ ٢٤ / ١٤ - ١٥).

أَمَّا (آ ١٢) فَهيَ الشَّريعَةُ الخَاصَّةُ بِاسْمِ الرَّبِّ القُدُّوس (خر ١٩ / ٧؛ تث ٥ / ١١). وَهيَ تَدُلُّ بِصيغَتِها العِبريَّةِ على زَمَنِ الجَلاءِ، إِذ مِن أَحَدِ أَسبابِ سَبيِ الشَّعبِ الإِسرائيليِّ عَن أَرضِهِ، كَانَ تَدْنيسُ إِسمِ الرَّبِّ بينَ الأُمَمِ مِنْ قِبَلِ الأَنبياءِ الكَذَبَةِ بِشَكلٍ خاصّ (راجع إر ٢٧ / ١٥).

هَذا القِسْمُ منَ الشَّرائِعِ يَطَالُ دَاخِلَ الإِنسَانِ أَي مَا يَفعَلُهُ في الخَفَاءِ، في قَلبِهِ سِرًّا. فَالرَّبُّ وَحْدَهُ يَعْلَمُ بِهَكذا تَصرُّفاتٍ خَفيَّة وَخَبيثَةٍ، السَّرِقَةَ وَالكَذِب. وَهَاتانِ الآفَتانِ تَقضِيانِ على الجَماعَةِ فَتُفَكِّكِها وَتَقطَعَ أَوصَالَها.

١٣ لا تَظلِمْ قريبَكَ ولا تَسلِبْه، ولا تُبِتْ أُجرَةَ الأَجيرِ عِندَكَ إِلى الغَد.

١٤ لا تَلعَنِ الأَصَمّ، وأَمامَ الأَعْمى لا تَضَعْ مَعثَرَةً، واتَّقِ إِلهَـــكَ: أَنا الرَّبّ.

(آ ١٣) تُعادِلُ: "لا تَسْتَغِلَّ أَجيرًا مِسكينًا أَو فَقيرًا مِن إِخوَتِكَ، .. بَل ادْفَع إِليهِ أُجرَتَهُ في يَومِهِ وَلا تَغِبْ عَلَيها الشَّمس..." (تث ٢٤ / ١٤ - ١٥). نُلاحِظُ أَنَّ نصَّ سِفرِ التَّثنيَة يَشْرَحُ بِالتَّفصيلِ هَذهِ الشَّرائِع، لِأَنَّها اخْتُبِرَت حَقيقَةً وَهيَ مُؤَلَّفةٌ إِنطِلاقًا منَ الواقِعِ الإِجتماعِيِّ في ذاكَ الزَّمان. خِلالَ زَمَنِ الجَلاءِ وَبَعدَهُ، صَارَ هَمُّ اللاَّوِيّينَ، وَكَانُوا قادَةُ الشَّعبِ الرُّوحِيّينَ آنَذاك، الحِفَاظَ على وِحْدَةِ الشَّعبِ وَإِيمَانِهِ من خِلالِ التَّذكيرِ بِالشَّريعَةِ وَتَفسيرِهَا.

أَمّا (آ ١٥) فَهيَ مُفْرَدَةٌ بينَ جَميعِ الشَّرائِعِ وَمُرتَبِطَةٌ بِالتَّقوَى أَي بِمَخافَةِ الرَّبّ. إِذ هوَ الرَّبُّ خَلَقَ الأَصَمَّ وَالأَعمَى (خر ٤ / ١١)، وَعِلَّاتِهِما لَيسَتا لِلهُزءِ بَل لِتَمجيدِ الرَّب: "كَانَ ذَلكَ لِتَظهَرَ فيهِ أَعمالُ اللهِ" (يو ٩ / ١ - ٣).

هَذهِ الشَّريعَةُ تَدُلُّ عَلى طَريقَةِ التَّصرُّفِ الَّتي كَانَت مُنتَشِرةً في إِسرائيلَ جُاهَ الصُمِّ وَالعُميَانِ، إِذْ كَانَ الفرِّيسيّونَ يَعتَبِرونَ هَذهِ الأَنواعَ منَ العِلَلِ الجَسَديَّةِ سَبَبَ خَطيئَةٍ، فَكَانُوا يَهزَأُونَ مِنهُم: "أَتُعلِّمَنا أَنتَ وَقَد وُلِدتَ كُلُّكَ في الخَطايَا؟" (يو ٩ / ٣٤). في هَذهِ الشَّرائِعِ تَسُودُ المحبَّةُ وَالرَّحْمَةُ على الضُّعَفاءِ وَالمَرضَى، لا كَشَرائِعِ الفَرّيسيِّينَ القَاسِيَةِ.

١٥ لا تَجوروا في الحُكْم، ولا تُحابِ وَجهَ الفقير ولا تُكرِمْ وَجهَ العَظيم، بَل بِالعَدْلِ تَحكُمُ لِقَريبِكَ.

١٦ ولا تَسعَ بِالنَّميمةِ بَينَ شَعبِكَ، ولا تُطالِبْ بِدَمِ قَريبِكَ: أَنا الرَّبّ.

هَاتانِ الآيَتانِ تُذَكِّرانِ بِسفرِ الخروج ٢٣ / ١ - ٨: "لا تَنقُل خَبَرًا كَاذِبًا، وَلا تَضَعْ يَدَكَ مَعَ الشِّرِيرِ لِشَهادَةِ زُور ...". أَلعَدلُ هيَ صِفةٌ إِلَهيَّةٌ فيها المحبَّةُ وَالإِنصافُ بينَ الجَميع. إِنَّ هذهِ الشَّرائِعَ تَدعو إِلى المَغفِرَةِ لِلقَريب، فَكَمَا الرَّبُّ يُعامِلُ الخَاطِئَ بِالرَّحمَةِ وَالعَدلِ، هَكذا كُلُّ إِسرائيليٍّ عليهِ أَن يُعامِلَ قَريبَهُ.

أَمَّا بِما يَختَصُّ بِالنَّميمَةِ، فَالنَّبيُّ إِرميا يَترُكُ لَنَا أَحداثًا عن الفَسَادِ الأَخلاقيِّ الَّذي كَانَ

مُنتَشِرًا في زَمَنِ الجَلاءِ وَبِخاصَّةٍ النَّميمَة: "لِيَحْذَر كُلُّ واحِدٍ من صَديقِهِ. وَلا يَتَّكِلْ عَلى أَحدٍ من إِخْوَتِهِ. فَإِنَّ كُلَّ أَخٍ يُريدُ أَن يَأخُذَ مَكانَ أَخيهِ. وَكُلَّ صَديقٍ يَسْعى بِالنَّميمَة" (إر ٩ / ٣؛ راجع ٦ / ٢٨؛ ٩ / ١ - ٩). كُلُّ هَذهِ الشَّرائِعِ تُوصي الشَّعبَ بِالمَحبَّةِ بَعضِهِم لِبَعض، بِطريقَةٍ غيرِ مُباشَرَة.

١٧ لا تُبغِضْ أَخاكَ في قَلبِكَ. بل عاتِبْ قَريبَكَ عِتابًا. فلا تَحمِلَ خَطيئَةً بِسَبَبِه.
١٨ لا تَنْتَقِمْ ولا تَحقِدْ على أَبْناءِ شَعبِكَ. وأَحبِبْ قَريبَكَ حُبَّكَ لِنَفسِكَ: أَنا الرَّب".

مَعَ هَاتانِ الشَّريعَتانِ تُخْتَتَمُ المَجموعَةُ (١ - ١٦)، إِذ نُلاحِظُ تَغييرًا في صيغَةِ التَّعبيرِ وَفي الأُسلوبِ بِذِكْرِ التَّعويضِ: لا تُبْغِضْ، بَلْ عاتِبْ وَلا تَحْقِدْ، بَلْ/وَأَحْبِبْ. هَكذا تَعيشُ الجَماعَةُ بِسَلامٍ وَتَسودُ بينَ أَعضائِها المَحبَّةُ وَالسَّلام (مز ١٣٣). لَقَد حَاوَلَ اللاَّوِيُّونَ أَنْ يَجْمَعوا بينَ أَفرادِ الشَّعبِ الإِسرائيليّ فَيُكَوِّنوا مِنهُم جَماعَةً واحِدَةً، يَحْتَرِمُ أَعضاؤُها بَعضِهِم البَعض وَيَحمِلونَ ضُعْفَ بَعضِهِم بِصَبرٍ وَتَكونُ العَدالَةُ ميزانُ الحُكمِ بَينَهُم. يَنتَهي سُلَّمُ هذهِ الوَصايا بِالوَصِيَّةِ الَّتي تُلَخِّصُ القِسمَ الثَّاني مِنَ الوَصايا العَشرِ المُرتَبِطَةِ بِالقَريب: "أَحْبِبْ قَريبَكَ حُبَّكَ لِنَفسِكَ" (متّى ٢٢ / ٣٩). كَما لاحَظْنا، هذهِ الشَّرائِعُ مُوَجَّهةٌ لِلقَريبِ، وَالقَريبُ في العَهدِ القَديمِ كَانَ يَعني القَريبَ في الإِيمانِ أي الشَّعبَ اليهوديّ. أَمَّا البَاقونَ مِنَ الأُمَمِ فَهُم غُرَباءُ وَأَسفارُ التَّوراةِ كَانَت تُحَذِّرُ من مُعاشَرَةِ عابِدي الأَوثان. أَمَّا العَهدُ الجَديدُ فَيَجعَلُ القَريبَ، كُلَّ إِنسانٍ مَهما كَانت دِياناتُهُ أَو مَرَضُهُ أَو انتِماءَهُ، لِأَنَّ ابْنَ اللهِ يَسوعَ المَسيحِ رَبَّنا جَاءَ لِيَدعو الجَميعَ إِلى مَعرِفَةِ الرَّبِّ وَإِلى الخَلاص.

خلاصة روحيّة

هَذا النَّصُ من سِفرِ الأَحبارِ هوَ تَفسيرٌ لِنَصِّ الوَصايا العَشرِ. لَقَد حضَّرَت هَذه الشَّرائِعُ قُلوبَ الشَّعبِ لِلانْفِتاحِ على القَريبِ، بِالتَّحذيرِ مِنَ الآفاتِ وَالفَسادِ الأَخلاقِيِّ وَالكِبرِياءِ. هَذهِ الشَّرائِعُ كَانَت بِمَثابَةِ دَعوَةٍ لِتَحويلِ القُلوبِ القَاسِيَةِ إِلى قُلوبٍ من لَحمٍ وَدَم (حز ٣٦ / ٢٦).

لِنَسْأَلِ الرَّبَّ أَن يَهَبَنا نَقاوَةَ القَلبِ على حَسَبِ مَشيئَتِهِ، بِكَلِماتِ الحِسَّايَةِ لِمَساءِ أَحدِ القِيامَة: كَما خَلَّصْتَنا يا ربُّ بِآلامِكَ، من الشِّيطَانِ، وَحرَّرتَنا بِسِرِّ قِيامَتِكَ، شِلْنا مِنَ الفَسادِ وَعُدْ صَوغَ صورَتِنا، يا أَمْهَرَ صَائِغ. وَمعَ المزمور ٥١ (٥٠): "قلبًا نقيًّا أُخلُق فيَّ يا أللّه، وَروحًا مُسْتَقيمًا جَدِّدْ في أَحْشائي".